حصن تازا أو برج الأمير عبدالقادر: معطيات أثرية وتاريخية جديدة

د. عزالدين بويحياوي
معهد الآثار، جامعة الجزائر2

Fort Taza or Bordj of Emir Abdelkader: unpublished archaeological and historical data

Dr. Azzedine BOUYAHIYAOUI
Institute of Archeology- University of Algiers2

Abstract
This study aims to present the Fort Taza, called also Bordj Emir Abdel-Kader, currently attached to the wilaya of Tissemsilt. This Fort is one of the many forts raised by the Emir Abdel-Kader in his war against the French colonial occupation. We begin by outlining a set of unpublished archaeological data before stating the few attempts made to rehabilitate this historic siteon the basis of numerous archaeological indicators it contains.
It is important to note that, the strength of Fort Tazais closely related to significan this torical facts which confirm that the regionhas always been inhabited since prehistoric times to the present day. Many sites and many archaeological discoveries demonstrate the succession of civilizations in the region.

Keywords:
Fort Taza, archaeological excavations, remains, pottery and earthenware, coins.

Le fort de Taza ou Bordj de l'Emir Abdel-kader: données archéologiques et historiques inédites

Dr. Azzedine BOUYAHIYAOUI
Institut d'archéologie- Université Alger 2

Résumé
Cette étude a pour objet de présenter le fort de Taza, appelé aussi Bord l'Emir Abdel-kader, présentement rattaché administrativement à la wilaya de Tissemsilt. Ce fort est l'un des multiples forts élevés par l'Emir Abdel-kader dans sa guerre contre l'occupation coloniale française. Nous commencerons par exposer et commenter un ensemble de données archéologiques inédites avant de faire état de quelques tentatives visant à réhabiliter ce site historique sur la base des nombreux indicateurs archéologiques qu'il renferme.
Il est important de relever que le fort de Taza est intimement lié à des faits historiques d'importance qui confirment que la région a été de tout temps habitée depuis la préhistoire à nos jours. Des nombreux sites et de nombreuses découvertes archéologiques témoignent de la succession de plusieurs civilisations dans la région

Mots clés:
Fort Taza, fouilles archéologiques, vestiges, poterie et faïence, monnaie.

ISSN : 2170-1431 :ردمد * تاريخ القبول : مارس 2013 * تاريخ الإيداع : سبتمبر 2012

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم حصن تازا المعروف كذلك ببرج الأمير عبد القادر الواقع إداريا بولاية تيسمسيلت. يعتبر هذا الحصن واحدا من الحصون التي شيدها الأمير عبد القادر في حربه ضدّ الاحتلال الفرنسي. سنعرض ونناقش في هذه المقالة مجموعة من المعطيات الأثرية لبرج تازا التي لم يسبق الكشف عنها، كما سنتعرّض لبعض محاولات إحياء هذا المعلم التاريخي معتمدين في ذلك على ما توصلت إليه الحفريات الأثرية في هذا الميدان.

تجدر الإشارة إلى أنّ حصن تازا يرتبط ارتباطا وثيقا بأحداث تاريخية هامة تؤكد التواصل التاريخي للاستيطان في هذه المنطقة منذ فترات ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا. لقد تم العثور والتعرف على العديد من اللقى الأثرية والمواقع والمعالم الدالة على انتمائها لمختلف الحضارات السابقة.

الكلمات الدالة: حصن تازا، الحفريات الأثرية، آثار، فخار وخزف، مسكوكات.

مقدمة

الحديث عن فترة زمنية غنية بالأحداث التاريخية المشتركة ما بين الشعوب والأمم وما بين الدول والحكومات يجب أن يكون مقرونا بمخلفاتها المادية تأكيدا على أنّ التاريخ رواية لأحداث واقعية تتطلب التحقيق فيها والتحقق منها.

من هذا المنطلق فإن الأحداث المرتبطة بشخصية الأمير عبد القادر ومن خلاله بالدولة الجزائرية الحديثة تحتاج الى تأكيد الخبرعن طريق التنقيب الأثري من أجل ابراز معالم ثابتة تزيد الحدث التاريخي مصداقية أكبر، خاصة وأننا نعلم جميعا أننا في حاجة لإبراز معالم تاريخ وحضارة الجزائر من فترات ما قبل التاريخ إلى يومنا وهذا ولإثبات تلك الأحداث التاريخية وتثبيتها كحقائق لا يمكن الطعن فيها.

لقد تبيّن لي أن الصراع القائم حول الأسبقية التاريخية وحول الأفضلية في المساهمة الحضارية أصبح مرادفا للقوة أو تعبيرا عنها ولهذا فإن الاعتماد على المنهج الأثري في الدراسات التاريخية المستقبلية يمثل الدفع الحقيقي للبحث العلمي بعيدا عن الأنا وعن الإنحياز والتعصب (الشوفينية).

على هذا الأساس حاولت تقديم نموذج حي لارتباط حدث تاريخي وواقع أثري ملموس وأقصد به موقع تازا – برج الأمير عبد القادر– بولاية تيسمسيلت. أبدأوها بتعريف للموقع ثمّ أبرز أهم الأحداث المرتبطة بالحصن من خلال النصوص التاريخية. يأتي بعد ذلك التأكيد على الحدث التاريخي الهام لأصل الى

تقديم الأدلة المادية المتمثلة في النماذج الأثرية التي اكتشفتها من خلال الحفرية التي أديرها منذ سنوات.

تحديد الموقع

توجد بلدية برج الأمير عبد القادر "تازا" (سابقا) على بعد 85 كلم شرق ولاية تيسمسيلت وعلى بعد حوالي 200 كلم جنوب غرب مدينة الجزائر العاصمة.

تحدها شمالا بلدية طارق بن زياد من ولاية عين الدفلى، ومن الغرب بلدية ثنية الحد واليوسفية ومن الناحية الجنوبية بلدية البواعيش (ولاية المدية) ومن الشرق بلدية دراق (ولاية المدية) ويقطعها الطريق الوطني رقم 60 الرابط بين بلدية قصر البخاري وثنية الحد.

أمّا إحداثياتها الجغرافية فهي كالتالي: 35.51° شمالا و2.15° شرقا.

الشكل رقم: 01
موقع تازا "برج الأمير عبد القادر" من الخريطة الإدارية لولاية تيسمسيلت.

الشكل رقم 1

إنشاء الحصن

إن اختيار الأمير لمواضع إقامة الحصون لم يكن وليد الصدفة وإنما لدراية الأمير عبد القادر بخصوصيات هذه المناطق من الناحية الإستراتيجية، الحربية منها على وجه الخصوص، ولأنها توفر حماية طبيعية للجند والأهالي كونها وفرت هذه العناصر أو الشروط في القرون السابقة.

كانت فكرة إنشاء الدولة الجزائرية أو إعادة بعثها من جديد تراود الأمير منذ مدة

وكان ربما يتحيّن الفرصة لتحقيقها، ولكن الظروف المفاجئة وسرعة الاحتلال الفرنسي في ضمّ المدن والأقاليم جعلته يستغل ظروفا استثنائية لبداية إعادة بناء الدولة الجزائرية.

جاءت معاهدة التافنة لتحقق إحدى تلك الظروف حيث استغل الأمير عبد القادر "الهدنة" للشروع في إقامة الأحزمة الدفاعية وترتيب أمور الجيش وتوفير المؤسسات الدينية والمدنية إلى غيرها مما تحتاج إليه الدولة في هذا الشأن.

من هذا المنطلق يمكن اعتبار موقع حصن تازا نتيجة من نتائج فترة السلم هذه وإن تضاربت الآراء حول أسباب الولاء من عدمه لقبائل كانت تقطن بناحية تازا مثل قبيلتي مطماطة وبلال من الأحداث التي يجب البحث فيها تاريخيا.

العامل الجغرافي

كان من وراء بناء حصن تازا منع العدو الفرنسي من الوصول إلى المناطق الصحراوية، حيث وضع الأمير ضمن استراتيجيته الدفاعية هذا الموقع لما يوفره من خصوصيات طبيعية، وفي هذا الصدد يقول النقيب دوماس(Capitaine Da- mas): " تقع تازا على سفح جبل حصين منحدر، جنوب شرقي معسكر وعلى بعد يومين منها، يجري في سفحه نهر"[1].

كما يذكر مارسيل إميريت (Emerit Marcel) نقلا عن Garcin أن المنطقة غنية بالغابات وأن بها منبع مائي وأن الأمير بنى حصنه في الناحية الشمالية لهذا الموقع[2].

هذه هي المعطيات نفسها التي أوردها فايست (Vayssette) الذي يؤكد أن حصن تازا محاط بمنحدرات صعبة ومسالك وعرة في جهته الشمالية الشرقية التي تقابلها هضاب ويذكر أيضا أنّ هذا الحصن جاء في أسفل جبل الشاون[3].

يتأكد مما سبق أنّ للأمير عبد القادر دراية بتاريخ الجزائر في الفترات القديمة كون تلك الحصون المقامة – ومنها حصن تازا – جاءت متاخمة للّيمس الروماني ويعني هذا أن تازا يمكن أن تمثل حلقة متينة في الحزام الدفاعي الذي أقامه الأمير. أما من الناحية الإستراتيجية فيمكن القول أنّ هذه الرغبة وتحقيقها يتأكدان من

1 – Yever (G), Correspondances du Capitaine Daumas, p.192

2 – Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdelkader, p.291

3 –Vayssette(1862). De Boghar à Tlemcen. Revue Africaine, n°06, p.22.

خلال التخطيط المسبق قبل أن تسند المهمة للخليفة بن علال ويشرف على بنائها بن رويلة.

ما لمسناه في إحدى مذكرات النقيب دوماس هو أن الأمير كان يريد أيضا من خلال بناء حصن تازا تعمير المنطقة بأهالي مدينتي الجزائر والبليدة بعد احتلالهما من طرف فرنسا[4].

بالإضافة إلى هذا كله فإن منطقة تازا كانت تزخر بالمناجم المختلفة منها منجم الكبريت ومنجم الرصاص وآخر لملح البارود والبارود

التسلسل التاريخي لمنطقة تازا

يرتبط حصن تازا بأحداث تاريخية هامة تؤكد التواصل التاريخي للاستيطان في هذه المنطقة منذ فترات ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا.

لقد تم العثور والتعرف على العديد من اللقى الأثرية والمواقع والمعالم الدالة على انتمائها لمختلف الحضارات السابقة منها الأدوات الحجرية أو المستحثات(Fossiles) أو تلك الجثوات (Tumulus)الموجودة بالقرب من الموقع أي بعين أشير أو تلك الآثار الرومانية بتيحمامت على بعد 4 كلم من تازا برج الأمير عبد القادر.

تكمن صعوبة دراسة هذه المنطقة في غياب النصوص التاريخية من جهة وغياب الأبحاث الأثرية أو قلتها ولهذا يبقى الاعتماد على النص التاريخي الذي وصلنا فقط من مرحلة الأمير عبد القادر الوسيلة الوحيدة لإبراز المعطيات التاريخية.

أما بالنسبة للمرحلة الكلاسيكية أو الرومانية كما يعرفها المؤرخون فإن موقع تازا كغيره من المواقع الموجودة بدائرة برج الأمير عبد القادر يؤكد هذا التواصل في الاستيطان كما تبرز الأهمية الحضارية للمنطقة بصفة خاصة (وللجزائر بصفة عامة).

لابد من التأكيد في بداية الأمر أنّ ضمن الاكتشافات العضوية وجد فخار سجيلي ومسكوكات رومانية في كل من موقع تيحمامت وعين أشير تؤرخ للمنطقة في الفترة الرومانية ما بين 361-306 م.

ما يزيد من أهمية المنطقة بصفة عامة وموقع تازا بصفة خاصة في الفترة القديمة (الرومانية) هو وجود معالم ضمن الليمس الروماني (ضمن حدوده). انظر

4 - Yever (G), op.cit, p. 192

الشكل، إذا رجعنا إلى مختلف الخرائط القديمة نجد أنّ منطقة تازا توجد خلف الخط الروماني المعروف بالليمس وأنها بالقرب من شبكة هامة للطرق القديمة لموريتانيا القيصرية خاصة الطريق الممتد من بوغار إلى تيارت[5].

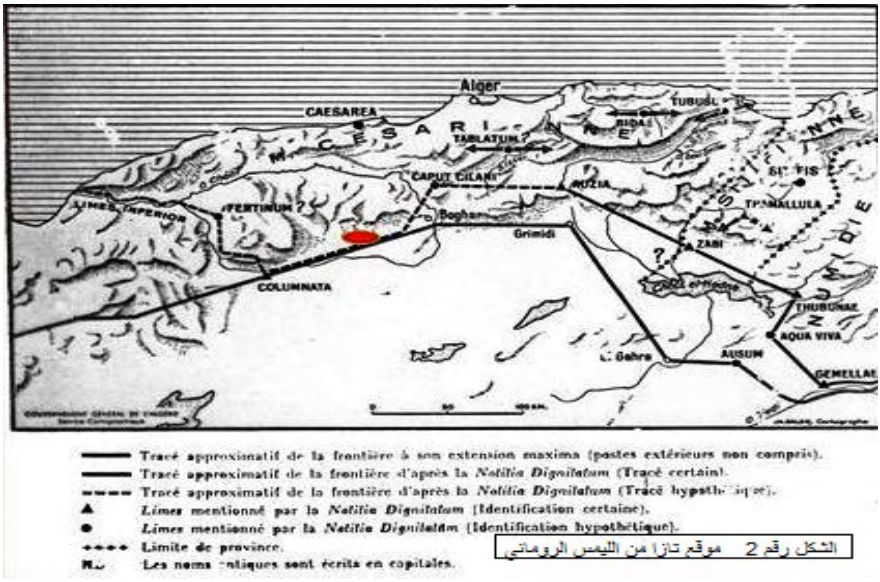

الشكل رقم 2 موقع تازا من الليمس الروماني

الشكل رقم 2 : موقع تازا من الليمس الروماني

يبقى الحديث عن آثار المرحلة الإسلامية رهين النصوص التاريخية الأصلية وهذا ما تعذّر علينا الحصول عليه (إن وجد) وبالتالي يمكن إدراج تاريخ المنطقة في هذا الإطار من خلال الحدود الإسلامية للدول المتعاقبة على المغرب الأوسط سيما في البداية.

لهذا نجد أن المعطى التاريخي المتميز الذي انفرد به مارسيل اميريت(Emerit, Marcel) والمعطى الآخر الذي انفرد به Vayssette يؤكدان الحركة التاريخية لمنطقة تازا من القرن 8 م إلى القرن 19 م مما يدلّ على وجود نصوص اعتمد عليها الكاتبان السالف ذكرهما.

وما دمنا بصدد الحديث عن موقع تازا فإن مارسيل اميريت (Emerit, M.) يذكر أن " تازا مدينة عربية اندثرت سنة 385 هـ/996 م"[6] (تقريبا)، وهذا ما يعني أنها شهدت حركة عمرانية وتأهيل سكني في فترة الحكم الرستمي الذي امتدت

5 – Courtois , Les Vandales et l'Afrique, p.79
Voir aussi : Salama Pierre, Les voies romaines….

6 –Emerit, M. Op.cit, p.250.

حدوده إلى جبل نفوسة بليبيا. قد نجد ضمن فخاريات تازا ما يؤكد هذا الحدث، وما يثير انتباهنا لهذا المعطى التاريخي أن المنطقة بقيت آهلة من المرحلة الرستمية رغم زوال الدولة الرستمية(296 هـ / 909 م) إلى التاريخ المذكور وهي مدة سبعة وثمانون (87 سنة) وهي مدّة كافية لإقامة منشآت معمارية ذات صلة بالحياة اليومية وغيرها.

لقد انفرد فايست الرحالة Vayssette بمعطى تاريخي في غاية الأهمية حيث قال: "في أسفل الهضبة التي بنى عليها الأمير عبد القادر حصن تازا وفي مستوى قليل الإنحدار بمقربة من الوادي نشاهد آثار المدينة القديمة لتازا التي أسسها في سنة 700 هـ/م1302 الأمير جعفر بن عبد الله، وهذا بدليل اللوحة التذكارية الحجرية المكتشفة والتي نقرأ اسم مؤسس المدينة وتاريخ تأسيسها المذكورين سابقا. ونقلت هذه اللوحة إلى ثنية الحد ... فالآثار الموجودة بهذا الموقع ذات أصل عربي لها طراز مماثل لمعالم مدينة تلمسان غير أنها في حالة مندثرة"[7].

رغم غياب مرحلة كاملة من تاريخ المنطقة أي من القرن 4هـ/10 م إلى8 هـ / 14 م فإن هذه المعلومة تكتسي أهمية بالغة في التعريف بآثار الفترة الزيانية وقد يحصل أيضا على ما يؤكد المرحلة الموحدية التي سبقت بدليل أننا اكتشفنا قطعة نقدية مربعة الشكل تحمل مواصفات المسكوكات الموحدية، والتي تدعم هذا القول وبالتالي يعود الحديث عن الاستيطان والحركة العمرانية ابتداء القرن 8هـ/14 م.

كما تتواصل المعطيات التاريخية في إبراز الدور المتميز لموقع تازا بالنسبة للقرنين 16 م و17 م حيث نلمس ذلك في النص الذي أورده (Patorni) باتورني وهو كالتالي: "وجد بموقع تازا الذي بنى فيه الأمير عبد القادر حصنه، مدينة عربية تسمى تازا أو ثازا والتي أسست منذ ثلاثة قرون خلت من طرف شيخ يدعى الحاج شاوي، وغير بعيد عن هذه الأخيرة عثر على لوحة حجرية نقش عليها باللغة العربية كلمة –تازا– وهي تتوسط شريطا كتابيا يحمل آيات من القرآن"[8]. نشير في هذا الصدد أن التاريخ المذكور يؤدي إلى تأريخ الأحداث في القرن 16م بدليل أن المتحدث نطق هذا القول في القرن التاسع عشر وبالتالي فهذه طريقة للإدلاء عن حدث تاريخي نسبي التأريخ.

أما عن آيات القرآن الكريم فلم يصلنا عنها شيء حتى نتمكن من خلال دراسة الخط أو تحديد تميزها بالنسبة لحكم معين. هذا هو الوضع التاريخي لموقع ومنطقة

7 – Vayssette. Op.cit, pp22–24.

8 – Patorni, L'Emir Elhadj Abdelkader p.67.

تازا قبل أن يحدث فيها الأمير عبد القادر وينشئ حصنا ضمن الخط الدفاعي الفاصل لمنطقة التل في سنة 1234 هـ/ 1838 م.

فترة الأمير عبد القادر

إذا كانت مرحلة المقاومة الوطنية التي عرفتها الجزائر مباشرة بعد احتلالها من طرف الاستعمار الفرنسي تحظى بدراسات تاريخية هامة من طرف باحثين جزائريين في اختصاص التاريخ فإن البحث عنها من حيث شواهدها المادية الدالة على حقيقة الحدث التاريخي قليلة جدا ويجب أن نعتني بالآثار التي خلفتها تلك المرحلة.

لهذه الأسباب وغيرها أردنا المساهمة بمقال نتحدث فيه عن حصن من حصون المقاومة إبان فترة الأمير عبد القادر وذلك بتقديم معطيات تاريخية وأخرى أثرية ارتبطت به منذ تأسيسه إلى اندثاره والتعريف بمحاولة إحيائه عن طريق البحث الأثري الميداني.

إن العلاقة الموجودة بين استراتيجية الأمير عبد القادر في المجال الحربي تؤكد أهمية هذا الحصن بما احتواه من هياكل معمارية ووظائف حربية غطت ذلك الفضاء المتميز من 1838 م إلى 1841 م.

إن الآثار الباقية في منطقة تازا كاملة تؤكد الاستيطان البشري بها منذ فترات ما قبل التاريخ وما يهمنا في هذا الصدد هو فقط المعطيات التاريخية والأثرية لفترة الأمير عبد القادر.

ورغم أننا نجدها متصلة بما سبقها من آثار حيث يذكر المارشال فالي(Valée) في رسالة موجهة إلى وزارة الحرب أن حصن تازا الذي أنشأه الأمير عبد القادر بني على أنقاض مدينة رومانية قديمة[9].

نعلم جيدا أن الأمير عبد القادر أنشأ مراكز دفاعية على الساحل وأقام خطا دفاعيا في مدن تلمسان ومعسكر ومليانة والمدية حيث أنشأ فيها مصانع حربية. كما أنشأ خطا شمل الحصون التالية:

- سبدو (المعروف أيضا باسم تافراوة) - سعيدة - تاقدمت - مليانة - تازا - بوغار

مع الإشارة إلى وجود معسكر وسط ما بين مليانة وتازا استغله الأمير كنقطة تجمع

9 - Yever, G. Correspondances…p.298 .

وامداد والمعروف باسم معسكر بوخرشفة[10] .

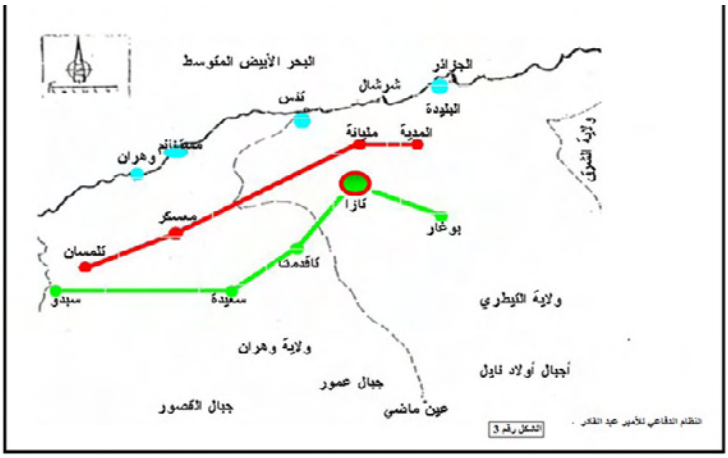

الشكل رقم 3

أما عن النظام الدفاعي للأمير عبد القادر فإن تخصيصه لثلاثة خطوط دفاعية يؤد الدور المعماري والعمران الذي أحياه ونشطه الأمير عبد القادر خلال فترة تحديد ملامح الدولة الجزائرية. وفي هذا الصدد يقول إميريت نقلا عن Garcin: "... إن وسائل الدفاع للأمير عبد القادر مصنوعة على ثلاثة خطوط موازية لبعضها البعض وموازية كلها للساحل."[11]. أما عن الخط الثالث والذي يهمنا هنا فكان مشكّلا من منشآت جديدة هي تاقدمت وسعيدة وتازا وبوغار.

من المعطيات التاريخية الهامة التي تؤكد نشاط الصناعة الحربية بتازا أن الأمير أمر بنقل مستودع البارود الموجود بتازا إلى مدينة تاقدمت[12]. كما يضيف اميريتمعلومات هامة : "تازا، في مقاطعة مطماطة، وهي على بعد يومين من تاقدمت، وهي عبارة عن حصن بناه الأمير منذ 1838. نقل إليه ثلاثة مدافع عيار 4 ويوجد بها فرن للخبز، وطاحونة للقمح اللّين وبعض البيوت يسكنها الجزائريون الذين كانوا يسكنون مليانة. وقد أنشئ هذا الحصن تحت مراقبة وإشراف قدور بن رويلة." [13]

10 – عن هذا الموقع، أنظر: محمد (الأمير)الجزائري، تحفة الزائر...ص.306 الى 311 أيضا: بوعزيز يحي، مرجع سابق، ص 92.

11 – Emerit,M. Op.cit, p.250.

12 – Idem, p.253.

13 – Ibid,

ويقول ألكسندر بلمار (Belemar(A)، أن الأمير أحاط الفرنسيين أنه سوف يتخلى في يوم ما عن الخط الدفاعي الأوسط وهذا يعني أنه كان يعتمد كثيرا على الخط جنوب التل الذي يحوي حصن تازا. وهذا ما جاء في نصه: " كنت متأكدا أن الحرب سوف تقوم من جديد وأكون مضطرا لإخلاء وترك مدن الخط الدفاعي الأوسط ولكنكم سوف تجدون صعوبة كثيرة وتطول المدة حتى تصلوا إلى الصحراء"[14].

المعطيات التاريخية لبناء الحصن

اتفقت الآراء وتنوعت المعطيات التاريخية حول تاريخ تأسيس حصن تازا في حين انعدمت من قبل المصادر التاريخية الدالة على العمق التاريخي لمنطقة تازا ككل.

لا يزال الأمر يحتاج إلى تدقيق أكبر والاعتماد على الشواهد المادية للتأريخ المطلق لحصن تازا، ولو أننا تأكدنا منه من خلال الاكتشافات الأثرية التي عثرنا عليها في الموقع والتي سوف نطرحها في التقرير النهائي للحفرية فإننا نقدم فيما يلي كل تلك الآراء والمعطيات إلى حين تثبيتها أو نفي بعضها أو إعادة قراءتها قراءة علمية موضوعية.

يذكر مارسيل اميريت (Marcel Emerit) نقلا عن قارسان Garcin الذي يؤكد أن تازا بنيت في شهر جوان 1838 من طرف الخليفة بن علال[15].

هو المعطى نفسه الذي أكده العقيد إيسكوت Colonel Escott مع إضافة تحديد الموقع[16]. ويذكر إبن التهامي عن تأسيس تازا مؤكدا أن البناء قصر وهي معلومة انفرد بها عن غيره وفيما يلي النص الذي تحدث عن واقعتي موسى الدرقاوي وقضية ترك المدية إذ يقول:"وبعث بهم إلى مدينته التي اختطها وهي تاقدمت المشروع في بنائها لأربع من تاريخ الولاية ولسبع ابتنى قصر تازة"[17].

يصعب هنا تحليل التاريخ المقدم سواء في ارتباطه بتأريخ الولاية 1832 م وبالتالي قد يكون يصادف 1838/1839 والمعطى نفسه قد يفسّر على أنه تاريخ انهاء الأعمال بتازا وهو 1839/1840.

أما النص الذي نشره كولان (Colin) المأخوذ من اللوحة التأسيسية للحصن

14- Bellemare (A), Abdelkader,sa vie politique et militaire,ed.Bouchene, 2003, p.119.

15 - Marcel E.. L'Algérie…p.291.

16 - Escott, Col. p.102.

17 - إبن التهامي، مذكرات الأمير عبد القادر، ص 108.

فيؤكد أن تازا بنيت سنة 1255 هـ/1838 م[18].

وإذا رجعنا إلى اللوحة التأسيسية للحصن – التي نشرها كولان (Colin) لأول مرة – كشاهد مادي غير قابل للطعن، فتذكر بأن تازا بنيت سنة 1255 هجرية / 1838 ميلادية.[19] وفي هذا الصدد يقول صاحب التحفة ما يلي "...ولما دخل عبد القادر "طازة " (كذا)، ورأى تشييدها في أقرب وقت حمد الله وأثنى عليه وقال ارتجالا:

الله أعلم أن هذا لم يكن مني على الأمل الطويل دليلا

كلا..وإن منيتي لقريبة مني.وأصبح في التراب جديلا

ورضى الإله هو المنى ليكون من بعدي انتفاع الخلق ثم طويلا[20]

ثم أمر بكتابتها على باب الحصن.

المجلس الشوري أو الحدث التاريخي المتميّز

حددت المصادر والنصوص والوثائق الثالث من جويلية 1839 م كتاريخ للإجتماع الشوري ويذكر ليون روش (Roches) بهذا الصدد مايلي" تقرر اجتماع تازا في الثالث من جويلية 1839 م – وأورد ذلك في العبارة التالية – لقد خلع المبعوث المغربي على عبد القادر في 3 جويلية 1839 م قفطان المبايعة الذي يعطيه خليفة مولاي عبد الرحمان سلطان المغرب.[21]

ونفس المعطى قدمه أزان (Azan) كما يلي" عقد اجتماع تازا في 3 جويلية 1839 م، وتقرر أن يبدأ الاجتماع بمناقشة الخطة الهجومية على سهل متيجة وتدمير مزارع ومنشآت المعمرين الفرنسيين المستقرين في مقاطعة الجزائر ووهران، غير أن هذا الأمر تقرر أن لا يصدر بذلك إلا إذا ارتكب الفرنسيون مخالفة جديدة تكون واضحة الانتهاك لمعاهدة التافنة"[22].

أورد كاميل روسي (Rousset) بدوره معلومات تؤكد ما ذكره سابقوه ومضيفا

18 – Colin. Corpus des inscriptions arabes et turques, p. 279 .

19 –Colin (G.), Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie, département d'Algérie, Ernest Leroux, éditeur Paris, 1901, p.p.279–280.

20 – الجزائري، محمد بن عبد القادر. تحفة الزائر. ص.313.

21 – Roches (L), Trente deux ans à travers l'islam, p386–387.

22 – Azan, P. Bugeau et l'Algérie, p.32–37.

معطيات انفرد بها، إذ يقول في هذا الصدد مايلي " كل قادة وخلفاء الأمير عبد القادر اجتمعوا بتازا يوم الثالث من جويلية سنة 1839 م في اجتماع شوري، وإن قفطان" الخليفة" بعثه ملك المغرب مع ضابط سام وألبسه بنفسه للأمير عبد القادر[23].

كما أكد هذا أيضا محمد صادق قائلا "شارك ابن علال يوم 3 جويلية 1839 م في اجتماع شرعي بتازا ترأسه الأمير عبد القادر وحضره الخلفاء وأعيان الناحية وقرروا بالإجماع استئناف الجهاد"[24].

وبالنسبة للصيغة الرسمية لهذا الاجتماع الشوري فقد سجلها الأمير في دفاتره الرسمية بهذه العبارة :

إن الموت أهون من العار وهدم أساس شرفنا فقد وافقنا الفرنسيين على ما طلبوه منا أولا وثانيا في معاهدة الجنرال "ديميشال" ومعاهدة الجنرال "بيجو" وحملنا أنفسنا ما لا نطيقه، والآن لما تجاوزوا حدودا ارتضوها وجرى الصلح عليها فلا بد أن يكونوا قد قصدوا باعتدائهم هذا أن يستولوا على بلادنا ويستعبدونا ودون ذلك بذلوا أموالنا وأرواحنا فلا عدول على الحرب والنصر مطلوب من الله القادر الذي لا نقاتل إلا لإعلاء كلمته"[25].

الواقع الأثري

شهد موقع تازا بعد الاستقلال قدوم بعض الأهالي في المنطقة لبناء مساكن فوضوية عمّت جل الموقع، فكان لهذا التعمير الفوضوي دور كبير في اندثار معالمه التي كانت ظاهرة للعيان وقتذاك. على إثر الأعمال الاستكشافية التي قمنا بها سنة 1999 والتي أكّدت وجود آثار مندثرة بدأنا بتنظيم حفرية إنقاذية بالموقع الأثري(2001) والتي تحولت فيما بعد إلى حفرية منتظمة بداية من سنة 2002. شملت العمارة العسكرية بحصن تازا عدة مباني ذات طابع عسكري منها:القلعة أو الحصن والمصانع الحربية، إضافة إلى المخازن والسجن والإسطبل والمخبزة. نظرا لأهمية الموقع الأثري ومن أجل ابراز هذه المعالم الدالة على مقاومة الجزائر للإستعمار كان لزاما علينا مراعاة هذا الوضع المتميّز.(أنظر الصورتين رقم 3 و 4).

23 – Rousset, C. L'Algérie de 1830 à 1840, p.373.

24 –محمد، الصادق. مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. د.م.ج.، ط 4, الجزائر، 1964، ص.44.

25 – الجزائري، محمد بن عبد القادر. المصدر السابق، ص 361–355.

لما قررنا تغيير طبيعة العمل الميداني إلى حفرية منتظمة ترتب عن ذلك تغيير المنهج الأثري باتخاذ طريقة التنقيب المفتوحة open field" مما أدى بنا أيضا إلى إعادة توزيع مناطق التنقيب وتحديد المساحات الأثرية قصد تنظيم جيّد والتحكم في المعطيات الأثرية الجديدة.

ونظرا لأن المقام هنا لا يكفي لسرد كل العمل الميداني وطرح كل الأفكار المرتبطة بالموقع من جهة وكذلك استحاله تقديم كل النتائج الخاصة بالبحث الميداني من جهة اخرى، نكتفي في هذا الباب بتقديم أهم ما توصلنا إليه من اكتشافات دالة على أن موقع تازا برج الأمير عبد القادر عرف أحداثا تاريخية مرتبطة فيما بينها وأن الأدوات الحضارية لفترة الأمير قد تّم الكشف عنها وتمييزها عن غيرها من مخلفات المراحل التاريخية السابقة (الأقدم منها اي الفترتين الوسيطة والرومانية).

مراحل التنقيب الأثري وأهم المكتشفات

على إثر الأعمال الاستكشافية قمنا بتنظيم حفرية إنقاذية بالموقع الأثري(2001) والتي تحولت فيما بعد إلى حفرية منتظمة، بداية من سنة 2002 م إلى غاية 2010 م، حيث تحصلنا على نتائج هامة تمثلت في:

-المكتشفات الأثرية الثابتة

هياكل معمارية لحصن الأمير عبد القادر تم رفع مخططه.

هياكل معمارية تعود إلى فترات قديمة تم الكشف عنها تحت أساسات الهياكل المعمارية للحصن.

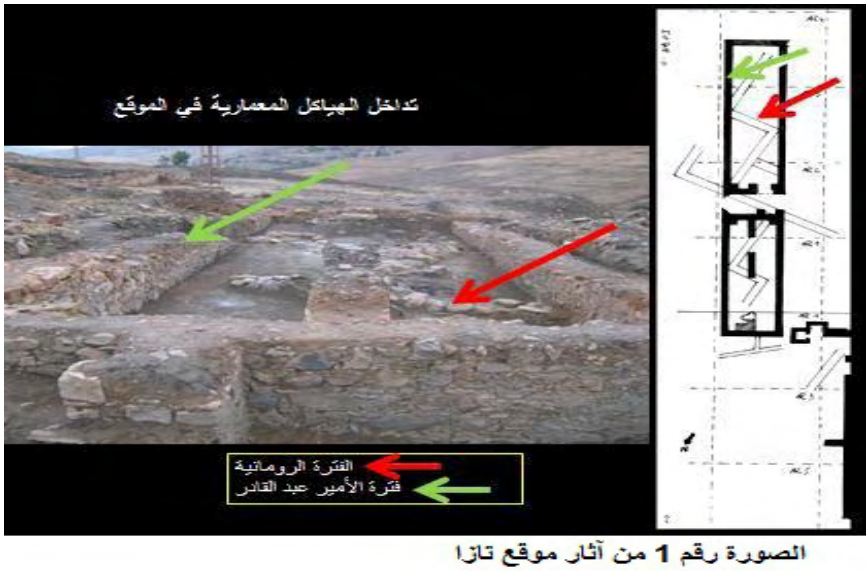

الصورة رقم 1 من آثار موقع تازا

- المكتشفات الأثرية المنقولة

المكتشفات الفخارية والخزفية (أواني كاملة وشقف) والتي يرجع تاريخها إلى فترات مختلفة منها الرومانية بما في ذلك المسيحية والفترة الإسلامية الوسيطة وفترة الأمير(أنظر الشكل رقم 5 والصورة رقم 5).

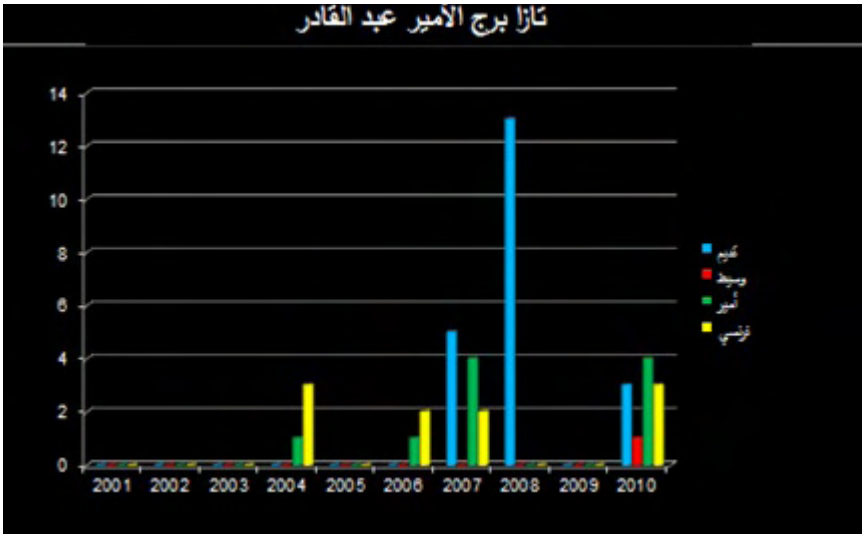

-المسكوكات (النقود)

هي الأخرى جاءت لتأكيد التسلسل التاريخي للموقع منها: قطع نقدية رومانية وقطعة واحدة من الفترة الموحدية ومجموعة نقدية لفترة الأمير عبد القادر والتي أرخت الموقع تأريخا مطلقا وأخيرا بعض المسكوكات الفرنسية . (أنظر الصورة رقم 2)

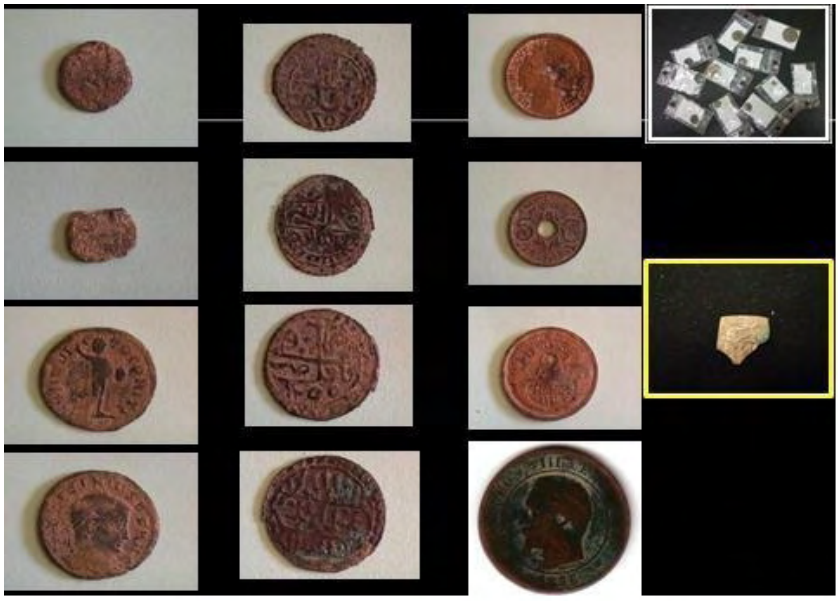

الصورة رقم 2: أنواع المسكوكات المكتشفة بموقع تازا

الصورة رقم 2 : أنواع المسكوكات المكتشفة بموقع تازا

-الأسلحة: تمثلت في ماسورة بندقية ذات فوهة واحدة وماسورة بندقية بفوهتين بالإضافة الى كمية من الكبريت وقطع أخرى تنوعت بين زجاجية ومعدنية منها ما لم يتمّ التعرف عليها .

الخلاصة

لا يمكننا الحديث عن المقاومة الوطنية سواء تعلق الأمر بمرحلة الأمير عبد القادر أو أحمد باي أو فاطمة نسومر أو المقراني أو بوعمامة وغيرهم دون ربط تلك الأحداث التاريخية بآثارها الباقية كمعالم واقفة أو تلك الآثار المطمورة التي تتطلب التنقيب والاستكشاف و التي تتطلب منا اعتماد ورقة عمل لإجراء التدخلات الاستعجالية لإنقاذها. أما فيما يخص الآثار فإن الواقع الميداني أفرز معطيات عديدة منها ما ارتبط بالعمارة ومنها ما اتصل بالفخاريات والخزفيات والمسكوكات وغيرها.

الصورة رقم 3: موقع تازا قبل الحفرية

الصورة رقم 3 : موقع تازا قبل الحفرية

الصورة رقم 4: موقع تازا بعد الحفرية

الصورة رقم 4: موقع تازا بعد الحفرية.

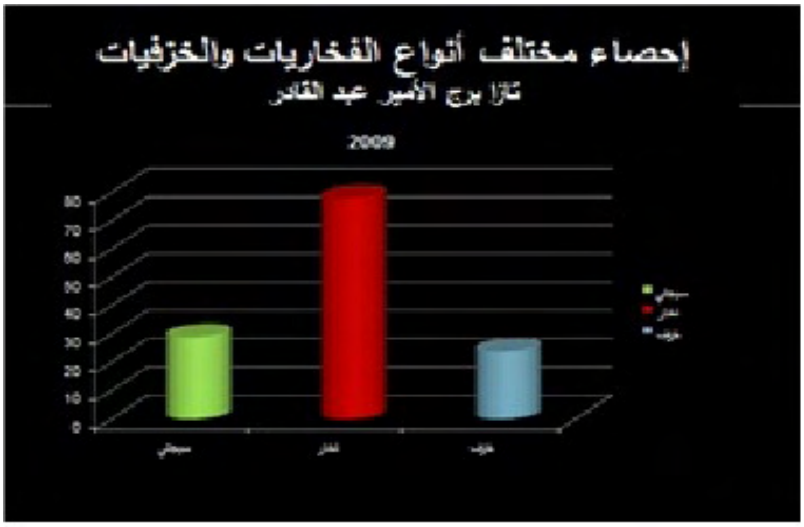

الشكل رقم 5

الشكل رقم 5

الصورة رقم 5: حفرية تازا نظرة حول بعض المكتشفات

الصورة رقم 5 : حفرية تازا نظرة حول بغض المكتشفات

المراجع

1. أديب، حرب (2007). التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر. دار الرائد للكتاب، الجزائر.
2. الجزائري، محمد بن عبد القادر(1964). تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر. شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي، دار اليـقظة العربية للتأليف والترجمة والنشـر، بيروت، الطبعة الثانية.
3. اسكوت، الكولونيل(1981). مذكرات الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام 1841.، ترجمه وقدم له وعلق عليه اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
4. بورويبة، رشيد (1983). القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر. مجلة الثقافة ، عدد خاص.
5. بورويبة، رشيد (1983). القلاع والحصون والمؤسسات العسكرية التي أنشأها الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، العدد 75.
6. بويحياوي، عز الدين (2001). مشروع حفرية تازا برج الأمير عبد القادر، ولاية تيسمسيلت، جامعة الجزائر، قسم الآثار.
7. بويحياوي، عز الدين (من 2001 الى 2011). التقارير العلمية لحفرية تازا برج الأمير عبد القادر، ولاية تيسمسيلت، جامعة الجزائر.
8. تشرتشل، شارل هنري (1974). حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، تونس.
9. شرشل، شارل هنري (2004). حياة الأمير عبد القادر، ترجمه وقدم له وعلق عليه أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
10. قدور، بن رويلة (1968). وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب. تقديم وتحقيق محمد عبد الكريم، نشرته و.ن.ت، الجزائر.
11. محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح ألجون(1994). مذكرات الأمير عبد القادر، شركة الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع.
12. Azan, P. (1925). L'Emir Abdel Kader (1808– 1883) du fanatisme musulman au patriotisme français, Paris,.
13. Bellemare, A. (1854). Abdel Kader sa vie politique et militaire, Paris.
14. Bouchenaki, M. (1976). La monnaie de l'emir Abdel Kader. S.N.E.D., Alger.

15. Bourouiba, R. (1983). Places fortes et etablissements militaires fondés par l'Emir Abdel kader. Majalet Et-Tarikh, 1er semestre, Alger.

16. Bouyahiaoui, A. (1998). Meddig M. et Derradji A. Prospection Archéologique à Tissemsilt. revue recherches, université d'Alger, n°05, Alger.

17. Churchill, C. H. (1991). La Vie d'Abdel Kader, Entreprise National du livre, Alger, quatrième édition.

18. Colin, G. (1901). Corpus des inscriptions arabes et Turques de l'Algérie, département d'Algérie, Ernest Leroux éditeur, Paris.

19. Emerit, M. (1951). l'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, édition la rose, Paris.

20. Patorni, F. (1889). l'Emir El Hadj Abdel Kader, règlements militaires. Imprimerie Fontana, Alger.

21. Roches, L. (1904). Dix ans à travers l'islam 1834 –1844. librairie d'académique Didier, Paris.

22. Roches, L. (1884). Trente-deux ans à travers l'islam 1832 –1864. librairie de Firmin Didot, Paris.

23. Rousset, C. (1889). La conquête de l'Algérie 1841-1857. Paris.

24. Rousset, C. (1900). Algérie de1830 à1840. deuxième édition, librairie Plan, Paris.

25. Salama, P. (1951). Les voies romaines de l'Afrique du Nord. éd. imprimerie officielle, Alger.

26. Vayssette (1862). De Boghar à Tlemcen. revue africaine, n°06.

27. Vayssette (1951). L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader. édition la rose, Paris.

28. Yever, (1912). Correspondances du capitaine Daumas, consul à Mascara 1837- 1839. Paris.

29. Yever, (1954). Correspondances du Maréchal Valée. édition la rose, Paris.